

— باب العقابُ ورد الشبهات —

(الاسلام دين العقل)

كنا ولا نزال نصرح بأن دين الاسلام هو دين العقل وحيجتنا الكتاب والسنة وكلام الائمة ولكننا ابتلينا بمن يشكك المسلمين في دينهم وفي الدعوة اليه بايهاهم ان ما نقول ليس من الدين وانه خارجه لان الاسلام يجب ان يكون كسائر الاديان التقليدية عدوا للعقل وان بناءه على العقل مؤذنه يهدمه كغيره وانه لو كان معقولا لكان علما ولم يكن ديناً الى غير ذلك من التشكيك وإنما نأخذ ديننا عن الادلة العقلية والتقليدية من كتاب ربنا لا عن المخالفين المشككين

بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم .  
ان في السموات والارض لايات للؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . وأختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وأحريف الرياح آيات لقوم يعقلون .  
تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون .  
ويل لكل أفاك أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كان لم يسمها فبشره بعذاب أليم .

فهذا كتاب الله يقيم الأدلة والبراهين ، طالباً بها أهل العقل باليقين في الإيمان ؛ واليقين لا يكون إلا بالبرهان ، ومعرفة الشيء برهانه هو أعلى العلم وأقواه . ولذلك قال تعالى بعد آيات ذكر فيها أهل الكتاب : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » . وقال بمدآية « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » والبصائر جمع بصيرة وهي الحججة توصل إلى اليقين . ثم قال في الجاحدين تقليداً « وقالوا ما هي الآيات التي تنزلنا من السماء ونحي وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » فنفى عنهم العلم وبين أن الظن لا ينفع في الدين ؛ لأن المطلوب فيه علم اليقين ، كما قال في سورة أخرى « وما لهم بذلك من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً »

تلك آيات من سورة قصيرة تدل على أن الإسلام دين العقل وأنه علم وأنه يطالب فيه اليقين ولا يكفي بالظن في الإيمان بأصوله كوحداية الله تعالى وعلمه وقدرته وبعثه الأنبياء ورسالة خاتمهم عليه وعليهم السلام . وقد جاء في القرآن كلمة « يريدون » بإزاء « والماء نحو خمسين مرة وفيه ذكر العقل والتلاوة في الخطاب وإقامة الآيات على الإيمان بغير هذا الحرف كالنهي واللب فاللفظ الألباب جاء في بضع عشرة آية ، ولهذا كان العلم بالكون طريق الإيمان والاسلام . قال عز وجل « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغمر غيب سواد » ومن الناس ولدواب والأنعام منابت ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور . فمدنا والله الحمد عليه وكل عبادة دين لأنه يزيدنا إيماناً ومعرفة بالله سبحانه

وقد ورد في الحديث « ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم »  
وأما قول المشككين ان العلم محصور في المحسوسات فكل ما لا يحس به  
فلا يقال في عرف الفلاسفة انك عالم به فهو من المغالطة أو الجهل فإنه لا علم  
يعتصم باليتين كعلم الرياضيات وبراهينها معقولة غير محسوسة .

( تمريض الدليل العقلي مع الدليل السمعي )

ذكرنا في المنار غير مرة ان الذي عليه المسلمون من أهل السنة  
وغيرهم من الفرق المعتد بإسلامها ان لدليل العقلي النطمي اذا جاء في ظاهر  
الشرع ما يخالفه فالعمل بالدليل الثاني مستحب واما في النقل التأويل أو  
التفويض وهذه المسألة مذكورة في كتب العقائد التي تدرس في الأزهر  
وبغيره من المدارس الاسلامية في كل الاقطار كقول الجوهرية

وكل عين أو هم الشبهة أو فقه أو فقه ورم تنزيها

قال الامام الريزي في كتابه قواعد الفقه لا يكذب الله نفساً الاوسعها»

عند ذكر التأويل في كتابه قد ثبت انه متى وقع المعارض من القانع العقلي والظاهر  
السمعي فإما ان يثبتها وهو محال لأنه جمع بين النقيضين وإما أن يكذبها  
وهو محال لأنه ابطال للنقيضين وإما ان يكذب القاطع العقلي ويرجع الظاهر  
السمعي وذلك يوجب تطرق الطعن في الدلائل العقلية ومتى كان كذلك  
بطل التوحيد والنبوة والقرآن . وترجيح الدليل السمعي يوجب القدح في  
الدليل العقلي والدليل السمعي معاً فلم يبق إلا ان يقطع بصحة الدلائل  
العقلية ويحمل الظاهر السمعي على التأويل « اهمم انه أقام الدلائل بهذا  
الوجه على المعتزلة في مسألة التكليف لانهم يتفقون مع أهل السنة فيه  
هذه المسألة مشهورة عند علماء المسلمين لا تحتاج الى تأييدها بقول

ولكن فشت بيننا في هذه العصر مطبوعات المشككين في الدين فاذا نقل المسلم عبارة من أصول دينه يقولون ان هذا من عنده ولا يبعد أن يوجد من الجاهلين من يفتخر بأقوالهم . وقد تقدم في مقالات « الاسلام والنصرانية » أن الاصل الثاني للاسلام تقديم العقل على النقل عند التعارض وهذا دليله من القرآن ومن كلام بعض الأئمة ولو أردنا سرد النقول من المواقف والمقاصد وسائر كتب الكلام والتفسير ومن كتب المتأخرين كحواشي الباجوري والرسالة الحميدية لأطلقنا الكلام في معنى واحد

### الشكوك في المسألة

فان قيل ان الامام الغزالي بعد أن أظهر تهافت الفلاسفة في أدلتهم النظرية في علم الله تعالى قال: « فإذن ليس ينفك فريق منهم عن خزي في مذهبه وهكذا يفعل الله بمن ضل عن سبيله . وضمن ان الامور الالهية يستوي على كتبها بظنه وتخييه » فهل يدل هذا القول على ان الدين غير معقول أم لا فالجواب انه ليس من مقتضى الدين ولا من مقتضى الفلسفة الوقوف على كنهه الخالق وحقيقته وكنه صفات الباري وحقيقتها . واذا عجز الحكماء والعلماء عن معرفة كنه الاجسام المشاهدة فكيف يطمع الطامعون بمعرفة كنه خالق الاجسام بأدلة نظرية وتخيلات شعرية ؟ هذا شيء لم يكفنا به الدين فيكون قول الغزالي بانكاره على الفلاسفة دليلا على أن الاسلام يكلف الناس بغير المعقول كما يزعم المشكك

ومثل هذا قوله في هذا البحث ( بحث العلم الإلهي ) مخاطبا للفلاسفة بعد إظهار عجزهم وتهافتهم : « المنصود تعجزكم عن دعواكم معرفة حقائق الامور بالبراهين القطعية وتشكيكم في دعاويكم واذا ظهر عجزكم فني

الناس من يذهب الى ان حقائق الأمور الإلهية لا تنال بنظر العقل بل  
ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ولذلك قال صاحب الشرع صلوات الله  
عليه « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » اهـ

فهذه الجملة من الامام الغزالي كالجملات السابقة خاصة ببيان عجز البشر  
عن ادراك حقيقة الباري وحقائق صفاته وقد مرت القرون والاجيال  
وستمر قرون واجيال أخرى الى ينقضي عمر البشر ولا يصلون الى معرفة  
حقيقة الله وحقيقة علمه وسائر صفاته . وهكذا قال صاحب مقالات  
(الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) قال (ص ٤٤٤ من المنار): « لا بد  
ان ينتهي أمر العالم الى تأخي العلم والدين ، على سنة القرآن والذكر الحكيم ؛  
ويأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح مناه ، « تفكروا في خلق الله  
ولا تفكروا في ذات الله » . وعند ذلك يكون الله قد أتم دينه ولو كره  
الكافرون ، وتبهم الجامدون القائلون ، « فكلام الامام الغزالي وكلام  
هذا الامام واحد لا فرق بينهما . ولو كان الاسلام كافناً بأن نعرف كنه  
ذات الله تعالى وكنه صفاته لكان مكفناً لنا بما لا يعقل ولا يستطيع ولكن  
الله يقول ، لا يكف الله نفساً الا وسعها »

هذا وان الامام الغزالي لم يقصد بكتاب تهافت الفلاسفة الذي نقلنا  
منه تينك الجملتين بيان القواعد الإسلامية وإنما قصد بيان فساد نظريات  
الفلاسفة في الأمور الإلهية وقد يدفع الفاسد بالفاسد ولذلك قال قبل  
الجملة الثانية بأسطره (ص ٥٥) : « نحن لم نخض في هذا الكتاب خوض  
الممهدين ، بل خوض المهادمين المعترضين ، ولذلك سمينا الكتاب (تهافت  
الفلاسفة) لا (تمهيد الحق) » فلا يصح أن يؤخذ من هذا الكتاب

مذهبه في المتأندولا في غيرها كما بنا على ذلك في مقاله لاسباب والمسببات في الجزء التاسع عشر والمشرين . وإنما يؤخذ مذهب من كتبه في المتأندوالاصول وهو فيها موافق لسائر أئمة السنة من أن العقل أصل الاسلام وان برأيه القاطية لا ترد فان جاء في الشرع ما يخالفها في الظاهر فالحكم فيه ما تقدم فان قيل : قد علمنا ان أئمة المسلمين في العتاد والاصول لم يختلفوا في أن دين الاسلام هو دين العقل فهل تعلم أن الفلاسفة الاسلاميين خرجوا عن هذا الأصل وفصلوا بين العقل والدين ؟ فالجواب كلا ان الفلاسفة أحرص على التوفيق بين العقل والشرع من غيرهم وقد ألف فيلسوف الاسلام في الغرب أبو الواليد بن رشد رحمه الله تعالى كتابا في هذه المسألة أثبت فيها ما أثبتته أهل السنة من قبله . ذلك الكتاب هو (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) ففي هذا الكتاب أثبت ان الشريعة الإسلامية أوجب النظر بالعقل وجمعها أساسا لعقائد ثم قال (في ص ٨) ما نصه : « واذا كانت هذا الشرائع حقا وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة

الحق فإننا سمعنا المسلمين نعم على انقطع انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع فإن لم يتحقق لا يثبت الحق بل وافقه ويعتبره . واذا كان هذا هكذا فان أدت النظر البرهاني الى نحو ما من المعرفة بوجود ما فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد كتبت عنه في الشرع أو سجد به . فان كان مما كتبت عنه فلا تمارض هناك وهو غير له . كتبت عنه من الأحكام فاستنبطها الذميه بالقياس الشرعي . وان كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق ان يكون موافقا لما أدى اليه البرهان فيه أو مخالفا . فان كان موافقا فلا قول هناك . وان كان مخالفا طلب هناك تأويله . ومعنى التأويل هو



إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشيئه او سببه او لاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء التي عهدت في تعريف اصناف الكلام المجازي . واذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الاحكام الشرعية فكم بالحري ان يفعل ذلك . صاحب العلم بالبرهان فان الفقيه انما عنده قياس ظني والعارف عنده قياس يقيني

« ونحن نقطع قطعاً أن كل ما أدى اليه البرهان وخالف ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي . وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن . وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاوول لهذا المعنى وجربه وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول بل نقول انه ما من منطوق به في الشرع يخالف بظاهره لما ادى اليه البرهان الا اذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر اجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل او يقارب ان يشهد . ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل » اه المراد منه بحروفه

قول: الله اكبر ، لمع الحق وبهر ، وظهر ان علماء المسلمين متكلمهم وفلاسفتهم ومفسريهم وفقهائهم لم يختلفوا في ان الاسلام دين العقل على العقل نبي شرعه والعقل هو المخاطب به ( لا القلب وحده ) وظهر ان ما قاله ذلك الامام في مقالات ( الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ) في تعارض الادلة العقلية والنقلية ، هو المجمع عليه في الملة الحنيفية ، وهذا ما يدعو اليه المنار جهاراً ، وكبر على اعداء الإسلام فكروا مكرراً كباراً ، ولن

يجدوا لهم من دون الله أنصاراً،

فان قيل : ان لأبن رشد كلاماً آخر في « تهافت التهافت » يشبه ان يكون مخالفاً لقوله هنا كقوله « الفلاسفة تفحص عن كل ما جاء في الشرع فان أدركته استوى الإدراك وكان ذلك أتم في المعرفة وان لم تدركه أعلمت بقصور العقل الانساني وان يدركه الشرع فقط » وكقوله : « أما الكلام في المعجزات فليس فيه للتقدماء من الفلاسفة قول لأن هذه كانت عندهم من الاشياء التي لا يجب ان يتعرض للفحص عنها وتجمل مسائل فانها مبادئ الشرائع والفاحص عنها او المشكك فيها يحتاج الى عقوبة عندهم مثل من يفحص عن سائر مبادئ الشرائع العامة مثل هل الله تعالى موجود وهل السعادة موجودة وهل الفضائل موجودة . وانه لا يشك في وجودها وان كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الانسانية . والعلة في ذلك أن هذه هي مبادئ الاعمال التي يكون بها الانسان فاضلاً ولا سبيل الى حصول العلم الا بعد حصول الفضيلة . فوجب ان لا يتعرض للفحص عن المبادئ التي توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة . واذا كانت الصنائع العملية لا تتم الا بأوضاع ومصادرات يسلمها المتعلم أولاً فأحرى ان يكون ذلك في الامور العلمية » اهـ بحروفه

فالجواب ان هذا الكلام لا ينافي ذلك ولا يخالفه بل هو مؤيد لقوله الأول ولقول جميع أئمة المسلمين من السابقين عنه واللاحقين به الى صاحب مقالات ( الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية ) ولو فرضنا ان بين القولين مخالفة لكان الواجب اعتبار الأول لانه مبين لمذهبه واعتقاده هو وسائر المسلمين على سبيل القطع . وأما قوله هنا فهو حكاية

عن الفلاسفة الاولين ولا يضرنا مخالفتهم لنا مادامنا واثقين بأننا على الحق المؤيد بالبرهان . على ان ابن رشد يقول هنا ان الفلاسفة الاولين لا يعارضوننا في هذه المسائل أي ان مقتضى مذهبهم ذلك والافتد صرح بأن ليس لهم كلام في هذه المسائل التي ذكرها فالخلاف بينه وبين الغزالي في هذا المقام محصور في نقل إنكار الفلاسفة على المليون مسألة المعجزات ومبادئ الفضايل فالغزالي يسنده اليهم على الاطلاق وابن رشد يقول انه لم يبحث ذلك الا ابن سينا والخطاب سهل

أما الوفاق فإنيك تراه بدأ يتكلم عن رأي الفلاسفة في الأديان ومبادئها لاني الاسلام الذي هو أرقاها وهو مع ذلك يعترف بأموه ولا تجفل الدين (المطلق) فوق العقل بمعنى أن فيه ما يحمله العقل ويقطع بدم صحنه (منها) أن ما لا تدركه الفلسفة بنظرياتها فهو دليل على ان العقل الإنساني قاصر عن الوصول اليه بنفسه فهو محتاج فيه الى إرشاد الشرع . ولا شك ان العقل الإنساني قاصر حتى اليوم عن إدراك كل ما بين يديه فهو يستخدم الكهرباء ويتمتع بها ولا يعرف حقيقتها فكيف يعرف أمور الآخرة والنشأة الثانية ؟ وليس معنى قولنا ان دين الاسلام معقول ان كل مسأله يمكن أن تعرف بالعقل استقلالاً بل معناه انه ليس فيه شيء يحكم العقل باستحالته ككون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً . وكون الآلهة متحد بالبشر ولولا ان هذا هو المراد لكان العقل مستقل بوضع الدين ولا يحتاج فيه الى الوحي

(منها) قوله ان مبادئ الدين كالمعجزات أمور موجودة لا يشك في وجودها . والموجود لا يكون محالاً لأن المحال لا يقبل الوجود . وقوله

عندهم : ان كيفية وجودها أمر إلهي تعجز عن إدراكه العقول الإنسانية :  
لا يستلزم أن الدين غير معقول أو ان فيه شيئاً محالاً في نظر العقل لأن  
هذه الموجودات التي نحس بها ولا نشك فيها قد عجزت عقولنا عن معرفة  
كيفية إيجادها فمعجزها عن معرفة كيفية وجودها والمعجزات أولى . ويسهل  
على كل عاقل أن يميز بين ما هو مستحيل لا يتصور العقل وجوده وبين  
ما لا يشك في وجوده لكنه لم يصل الى معرفة كيفية حدوث هذا الوجود  
و ( منها ) ان هذه المبادئ الدينية الموجودة الثابتة يجب أن تؤخذ  
بالتسليم والتقليد للشرع ( لا لآراء الناس ) من غير أن نسلط النظريات  
الفلسفية على البحث في إمكانها وفي كيفية وجودها لأن هذا البحث سفه  
مخسار ، وأي سفه وضرراً أكبر من التشكيك في شيء موجود نافع للناس  
لصددهم عن الانتفاع به بنظريات لا قيمة لها . اي سفه أكبر من سفه  
من كان يماري بالموجود الثابت بالمشاهدة أو التواتر ( كالمعجزات )  
أو يازم الانسان بأن لا يسلك طريق الفضيلة حتى يبحث بالدلائل النظرية  
الفكرية في إمكانها وفي كيفية حصولها وهو يرى ويشاهد أنها تحصل  
بالفعل وأن طريق حصولها هو العمل لا النظريات الفكرية ؟؟  
وما احسن ما اوردته الفيلسوف في هذا المقام أيضاً وهو :

« واما ما نسبه ( أي ما نسبه الغزالي الى الفلاسفة ) من الاعتراض  
على معجزة إبراهيم عليه السلام فشيء لم يقبله الا الزنادقة من اهل الاسلام  
فان الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادئ  
الشرائع وفعال ذلك عندهم محتاج الى الأدب الشديد وذلك انه لما  
كانت كل صناعة لها مبادئ وواجب على الناظر في تلك الصناعة ان يسلم

مبادئها ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال كانت الصناعة العملية الشرعية هي  
أخرى بذلك لأن المشي على الفضائل الشرعية هو ضروري عندهم ليس  
في وجود الانسان بما هو إنسان بل وبما هو إنسان عالم. ولذلك يجب على  
كل إنسان ان يسلم مبادي الشريعة وان يقاد فيها ولا بد من هذا الوضع  
لها فان جردها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الانسان ولذلك وجب قتل  
الزنادقة . فالذي يجب ان يقال فيها ان مبادئها هي أمور الهية تفوق  
المقول الانسانية فلا بد ان يعترف بهامع جهل اسبابها ولذلك لا تجرد  
احدا من القدماء تكلم من المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم  
لانها مبادي تثبت الشرائع والشرائع مبادي الفضائل . ولا فيما يقال فيها  
بمد الموت . فاذا نشأ الانسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا باطلاق  
فان تمادى به الزمان والسعادة الى ان يكون من العلماء الراسخين في العلم  
فعرض له تأويل في مبدأ من المبادي فيجب عليه ان لا يصرح بذلك  
التأويل وأن يقول فيه كما قال الله تعالى « والراسخون في العلم يقولون آمنة  
به » هذه حدود الشرائع وحدود العلماء « اه بحروفه من (ص ١٢٩ )  
حقا أقول ان هذا ما يصح ان يسند الى الحكماء العقلاء واننا نوضحه  
بمثال آخر طالما ذكرناه في مباحثنا مع الاخوان وهو ان الطب علم قد  
ثبت فائدته للناس بالتجربة والمشاهدة فمن حماة وسفه الرأي أن يقال  
للمريض عليك ان لا تقبل من الطبيب علاجاً حتى تبحث أولاً عن مبادي  
الطب وتثبت بالادلة النظرية انه نافع ومفيد ثم تعرف الدواء الذي يصفه  
لك الطبيب ما هو وما نسبة بعض أجزائه الى بعض وكيف يؤثر في مقاومة  
المرض وما الدليل العقلي على تأثيره وما أشبه ذلك

كذلك يكون أفين الرأي من يقول للناس عليكم ان تبحثوا قبل  
الايمان عن أسباب المعجزة الثابتة التي رأتموها أو نقلت اليكم بالتواتر حتى  
كانكم كنتم حاضر فيها كيف أوجدها الله تعالى ثم تبحثوا أيضاً عن كل ما جاء  
في التشرع لتعاموا بالدليل النظري لم كان كذلك وكيف كان وبعد ذلك  
كله آمنوا اذا عرفتم كل المسائل بالدليل النظري ولا تؤمنوا اذا لم تعرفوها  
يفتك المرض بمرض الجسد حتى يكون حرضاً أو يكون من الهالكين  
ولا يقدر ان يقف على دقائق الطب بالنظر والاستدلال وهو كسبي كله وضعه  
أمثاله من الناس بالنظر والتجربة . وكذلك تفتك الرذائل والمعائد الباطلة  
بمرض النفس فتجعله مصيبة على نفسه وعلى الناس ولا يصل بالنظر الى هذه  
الكيفيات فبقى ان الصواب ماقرره الاسلام وهو ان النظر واجب في الاصول  
التي تثبت بها معرفة الله تعالى وصحة النبوة ومتى اعتمدنا بقدره الله وإرادته  
وعلمه وكونه أوحى الى بعض عبده وأهدى بهم الى ما يستمدهم في  
حياتهم الاخرى فانه يسهل علينا أن نسلم بكل مايقول الوحي اليهم ( الانبياء  
عليهم السلام ) تسليماً . فان وجدنا فيه شيئاً يخالف ظاهره الدليل العقلي  
الذي نردده اليه بالتأويل أو نفوض الامر فيه الى الله مع الاخذ بالدليل  
العقلي . هذا ما أجمع عليه أئمة المسلمين كما تقدم وهو كاف في كون الاسلام  
دين العقل لان المسلم لا يترك الدليل العقلي الماطع بحال من الاحوال .  
وقد أحسن ابن رشد في رأيه أن لا تنشر التاويلات التي تظهر  
للاستخين في العلم بل تبقى خاصة بأهلها فلا تكون بيننا تمنح باب الجدل  
على العامة في الاتصال اليه أفهامهم من جنائف العلوم . والجدل مدعاة  
الشكوك ولذلك يجب تأديب المشككين والاعراض عن المجادين

## ارتقاء الأديان ، وختمها بالاسلام

( جاء في « رسالة التوحيد » للاستاذ الامام مانصه )

جاءت أديان والناس في فهم ومصالحهم العامة بل والخاصة في طور أشبه بطور الطفولية للناسي الحديث العهد بالوجود لا يألف منه الا ما وقع تحت حسه ، ويصعب عليه ان يضع الميزان بين يومه وأمه ، وان يتناول من المعاني ما لا يقرب من لسه ، ولم ينفث في روعه من الوجدان الباطن ما يعطفه على غيره من عشيره أو ابن جنسه ، فهو من الحرص على ما يقيم بناء شخصه في هم شغل عما يلقى اليه فيما يصله بغيره اللهم الا اذا اتصل اليه بطعام ؛ أو تسنده في قعود أو قيام ، فلم يكن من حكمة تلك الأديان ، ان تخاطب الناس بما يلطف في الوجدان ؛ أو يرقى اليه بسلم البرهان ، بل كان من عظيم الرحمة أن تسير بالاقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده في سداجة السن لا يأتيه الا من قبل ما يحسه بسمعه أو ببصره . فأخذتهم بالاوامر الصادقة ، والزواجر الرادعة ، وطالبتهم بالطاعة ، وحاثهم فيها على ما بلغ الاستطاعة ، ككذبهم بمقول المعنى جلي الغاية وان لم يفهموا معناه ، ولم اتصل به مداركهم الى حسه ، وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم ؛ وتفعل به مشاعرهم ، وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هذه<sup>(١)</sup>

(١) المعروف الى الآن من هذه الأديان دين اليهود ومن قرأ كتبه المقدسة التي

يسمون مجموعها ( التوراة ) يجلي لها انطباق الوصف عليهم ففيها أن الرب كان ياقب شعب اسرائيل بالشعب الغايظ الرقبة ، أي المريض الغفا والمراد البئد الجافي وكان يربه الآيات والخاوف فيخضع ثم يعود الى تمرد . وكان يعمل له الاحكام بالوقائع الخاصة كأنجائه من المصريين . وكان يماقبه على ترك أي حكم بأشد العقوبة ومنها ان من يعمل يوم السبت عملاً يقتل قتلاً

ثم مضت على ذلك أزمان علت فيها الأقوام وسقطت ، وارتفعت ،  
وجرت وكسبت ، وتخالفت وانفقت ، وذاتت من الأيام آلاما ، وتقلبت  
في السعادة والشقاء أياما وأياما ؛ ووجدت الأنفس بنفث الحوادث ؛ ولقن  
الكوارث ، شمورا أدق من الحس وأدخل من الوجدان ؛ لا يرتفع في  
الجملة عما تشمر به قلوب النساء أو تذهب منه نزعات الغلمان ؛ فجاء دين  
يخاطب العواطف ، ويناجي المراحل ؛ ويستمطف الأهواء ؛ ويحادث  
خطرات القلوب ، فشرع للناس من شرائع الزهادة ما يصر فهم عن الدنيا  
بجملتها ويوجه وجوههم نحو الملكوت الأعلى ، ويقتضي من صاحب الحق  
ان لا يطالب به ولو بحق ، ويفلق أبواب السماء في وجوه الأغنياء ؛ وما ينحو  
نحو هذا مما هو معروف . وسن للناس سننا في عبادة الله تنفق مع ما كانوا  
عليه ، وما دعاهم اليه ؛ فلاقى من تعلق الناس بدعوته ما أصبح من فاسدها ،  
ثم لم يعض عليه بضعة أجيال حتى ضعفت المزام البشرية عن احتمالها ،  
وضاقت الذرائع عن الوقوف عند حدوده والأخذ بقوا له ، ووقر في الظنون  
أن تبع وصاياه ضرب من المحال ، فبب التائمون عليه أنفسهم لمنافسة الملوك  
في السلطان ، ومزاحمة أهل الترف في جمع الأموال ، وانحرف الجمهور  
الأعظم منهم عن جادته بالتأويل ، وأضافوا اليه ما شاء الهوى من الأباطيل ،  
هذا كان شأنهم في السجيا . نسوا طهارته ، وباعوا نزاهته ؛ أما في المقائد  
فتفرقوا شيعا ، وأحدثوا بدعا ، ولم يستمسكوا من أصوله الا بما ظنوه من  
أشد أركانها ، وتوهموه من أقوى دعائها ؛ وهو حرمان العقول من النظر  
فيه وفي غيره من دقائق الأكوان ، والحظر على الأفكار أن تنفذ الى  
شيء من سرائر الخلق ، فصر حوايانا لا وفاق بين الدين والعقل ، وان

الدين من أشد أعداء العلم ؛ ولم يكف الذهاب الى ذلك أن يأخذ به نفسه بل جد في حمل الناس على مذهبه بكل ما يملك من حول وقوة ، وأفضى الغلو في ذلك بالأنفس الى نزعة كانت أشأم النزعات على العالم الإنساني وهي نزعة الحرب بين أهل الدين للإلزام ببعض قضايا الدين ، فتقوّض الأصل ؛ وتخرمت العلائق بين الأهل ، وحلت القطيعة محل التراحم ، والتخاضع مكان التعاون ، والحرب محل السلام ؛ وكان الناس على ذلك الى أن جاء دين الاسلام ؛ (\*)

كان سن الاجتماع البشري قد بلغ بالإنسان أشده ؛ وأعدته الحوادث الماضية الى رشده ، فجاء الاسلام مخاطب العقل ، ويستصرخ الفهم واللب ، ويشركه مع العواطف والاحساس ؛ في إرشاد الإنسان الى سعاده الدنيوية والاخروية ، وبين للناس ما اختلفوا فيه ، وكشف لهم عن وجه الاختصموا عليه ، وبرهن على أن دين الله في جميع الأجيال واحد ، ومشيئته في اصلاح شؤونهم وتطهير قلوبهم واحدة ، وأن رسم العبادة على الأشباح ، إنما هو الجديد الذكري في الأرواح ، وأن لا ينظر الى الصور ولكن ينظر الى القلوب ؛ وطالب المكاف برعاية جسده كما طالبه باصلاح سره ، ففرض نظافة الظاهر كما أوجب طهارة الباطن ، وعدّ كلا الأمرين طهراً مطلوباً ؛ وجعل روح العبادة الإخلاص ، وأن ما فرض من الأعمال إنما

(\*) يرى الناظران الاستاذ الإمام يصدق جميع ما يتدع في النصرانية وكان شوما على الإنسانية . بالرؤساء الذين خرجوا من زهاده المسيح ويدعون أنهم نوابه الى مزاحمة الملوك والاستعلاء عليهم . فلا يتوهمن أحد أن مسلماً يعقد أن في دين المسيح نفسه شيئاً كان ضاراً بدنه فيمن خطوطه نوابه

هو لما أوجب من التطيع بطاهر المسكات : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ، « ان الإنسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً الا المصلين » ورفع الغني الشاكر الى مرتبة الفقير الصابر بل ربما فضله عليه ، وعامل الإنسان في مواعظه معاملة الناصح الهادي للربيل الرشيد ، فدعاه الى استعمال جميع قواه الظاهرة والباطنة ، وصرح بما لا يقبل التأويل ان في ذلك رضا الله وشكر نعمته وان الدنيا زرعة الآخرة ولا وصول الى خير المقبي ، الا بالسعي في اصلاح الدنيا ،

.....  
 (ثم قال) « كشف الاسلام عن العقل نعمة من الوه فيما يعرف من حوادث الكون الكبير « العالم » والكون الصغير « الانسان » فقرر ان آيات الله الكبرى صنع العالم انما يجري أمرها على السنن الإلهية التي قدرها الله في خلقه الأزلي لا يغيرها شيء من الطوارئ الجزئية ، غير أنه لا يجوز أن يُفكّل شأن الله فيها ، بل ينبغي أن يحى ذكره عند رؤيتها ، فتدجاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تشفان موت أحد ولا حياة فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله »<sup>(١)</sup> وفيه التصريح بان جميع آيات الكون تجري على نظام واحد لا يقضي فيه الا العناية اللازمة على السنن التي اقامته عليها ، ثم أماط اللثام عن حال الانسان في النوم التي يتمتع بها الاشخاص أو الأمم والمصائب التي يرزؤن بها افقصل بين الأمرين فصلا محكما - ثم بعد ان ذكر حال الافراد وأن ما يعييبهم قد يكون كسبهم وقد يكون بغير ذلك قال :

(١) كسبهم بغير علمهم ، ان النبي صلى الله عليه وآله لم يفسد



«أما شأن الأمم فليس على ذلك فإن الروح الذي أودعه الله جميع شرائعه الإلهية من تصحيح الفكر وتسديد النظر، وتأديب الأهواء، وتحديد مطامح الشهوات، والدخول إلى كل أمر من بابها، وطلب كل رغبة من أسبابها، وحفظ الأمانة، واستشعار الأخوة، والتعاون على البر، والتناصح في الخير والشر، وغير ذلك من أصول الفضائل - ذلك الروح هو مصدر حياة الأمم ومشرق سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة «من يرد ثواب الدنيا ثوته منها» ولن يسلب الله نعمته مادام هذا الروح فيها . يزيد الله النعم بقوته وينقصها بضعفه ، حتى إذا فارقتها ذهبت السعادة على أثره ، وتبعها الراحة إلى متره ، واستبدل الله عزة القوم بالذل ، وأكثرهم بالقل ، ونعيمهم بالشقاء ، وراحتهم بالعناء ، وسلط الله عليهم الظالمين أو المادنين فأخذهم بهم وهم في غفلة ساهون ، « وإذا أردنا من نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » أمرناهم بالحق ففسقوا عنه إلى الباطل ، ثم لا ينفعهم إلا نين ولا يجديهم البكاء ، ولا يفيدهم ما بقي من صور الأعمال ولا يستجاب منهم الدعاء ، ولا يكشف لما نزل بهم إلا أن يلجؤا إلى ذلك الروح الأكرم فيستنزله من سماء الرحمة يرسل الفكر والذكر والصبر والشكر « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » - « سنة الله في الذين خلوا من قبل وإن تجد لسنة الله تبديلا » . وما أجل ما قاله المباس بن عبد المطلب في استسقاؤه « اللهم إنه لم ينزل بلائنا إلا بذنب ، ولم يرفع الابتوبة » على هذا السنن جرى سلف الأمة فيينا كان المسلم يرفع روحه بهذه المقائد السامية ويأخذ نفسه بما يتبعها من الأعمال الجليلة ، كان غيره يظن أنه ينزل الأرض

بدعائه ؛ ويشق الفلك بكائه ، وهو وريح بأهوائه ، ماض في غلوائه ، وما كان يعني عنه ضنه من الحق شيئاً « اه المراد هنا من رسالة التوحيد

تشييه التعليم الديني بتعليم المدارس

هذا مقاله الأستاذ الامام في رسالة التوحيد التي طبعت سنة ١٣١٥ وقرر مجلس ادارة الازهر تدرسيها رسمياً في الجامع الازهر . ومعلوم ان رئيس هذا المجلس هو شيخ الجامع فهو مع سائر العلماء أعضاء المجلس بل وسائر علماء الازهر متفقون على ما في هذه الرسالة . وما تقدم عنها يعلم معنى كون دين الاسلام هو دين العقل والقرآن يشهد بهذا في عشرات ومئات من الآيات . ويعلم أيضاً ان المسلمين يعتقدون بحقيقة الديانة المسيحية وكونها جاءت اصلاحاً للناس ولكن الى أجل محدود قد انتهى واستغنى عنه بالدين الأخير

تقدم ان دين الله واحد « لا تفرق بين أحد من رساله » وان خطاب الوحي كان يختلف باختلاف استعداد الناس . فالشريعة الموسوية وماشا كلها ما كان قبلها ودرس كالمدرسة الابتدائية . والديانة المسيحية كالمدرسة التجهيزية . والديانة الاسلامية كالمدرسة العالية التي هي التعليم الأخير . وهذا يتضمن انتقاص اليهودية والمسيحية كما ان وجود المدارس العالية لا يقتضي انتقاص المدرسة الأولى أو الثانية لأن كلا منهما لا بد منه والترض من الجميع واحد . ولا تنس ان التشبيه بالنسبة الى مجموع البشر في الجملة فلا يقل ينبغي ان يكون كل فرد من الناس يهودياً ثم نصرانياً ثم مسلماً . وهذا لذي قلناه . وقد بما ارشد اليه العلم الصحيح من سنة الارتقاء البشري وقد جرى الناس على ذلك بحكم تلك السنة فدخل الملايين من اليهود والنصارى

في الاسلام أفواجا وكانوا في ذلك كمن انتقل من مدرسة الى مدرسة  
أعلى منها. ولولا الرؤساء الذين جعلوا الدين تقليديا وجعلوا عليه سياجا من  
القوة الحسية والوهمية ولولا الطواري التي طرأت على سير الاسلام  
بواسطة الرؤساء من الملوك والاصراء، وقتنتهم للعلماء والفقهاء، لما بقي  
للأديان الأولى من الاتباع ما يكونون به أمما كبيرة.

### القسم العمومي

الاجتماع التاسع لجمعية أم القرى ويتبعه الاجتماع ١٠ و ١١

«في مكة المكرمة يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦»  
في صباح اليوم المذكور انعقدت الجمعية وقرأ كاتبها السيد الفراتي ضبط مفاوضات  
اليوم السابق حسب الاصول المرعية .  
قال ( الاستاذ الرئيس ) اننا نقرأ اليوم قانون الجمعية وقد علم الاخوان من مطالعة  
السائحة التي وضعها اللجنة ان هذا القانون هو الآن في حكم قانون . وقت الى ان  
تشكل الجمعية الدائمة ان شاء الله وتزاول وظائفها فهي تعيد النظر فيه وتعني بتطبيقه  
على الواجبات والتجربات ثم تعرضه على الجمعية العامة التي سيأتي ذكرها فيه فاذا  
امضته صار حينئذ قانوناً راسخاً .

فلنقرأ الآن قضايا القانون فقرة فقرة حتى اذا كان لأحد الاخوان ملاحظة على  
بعض الفقرات منه فليبدها عند قرائتها وبمد المناقشة اما أن تقبل أو ترد أو تعدل  
بالأكثريه . وعلى كل حال تضبط المناقشة في سجل مخصوص يكون كشرح للقضايا  
يرجع اليه عند النزوم

ثم أمر ( الاستاذ الرئيس ) بقراءة سائحة القانون فقرئت وجرت على بعض القضايا  
وبعض الفقرات منها مناقشات وتولى المدقق التركي رئيس اللجنة إعطاء الإيضاحات  
اللازمة عن المقاصد التي لاحظتها اللجنة فيه فقبل أكثر قضاياها وعدل بعضها وضبطت  
المناقشات على حدة

وقد استغرقت مباحث القانون جلسة ذلك اليوم وكذلك جلسة الاجتماع العاشر